

حينما يقدر النعمة



كانَ الشيخُ العجوزُ يمشي بتثاقُلٍ ما بينَ مرضِه وجوعِه وهمومِه. ما
إنْ وطئتْ قدماهُ أعتابَ مسجدِ المدينةِ المنورةِ حتَّى أشرقَ وجهُهُ
واشدَّتْ عزمُتهُ.

دخلَ المسجدَ، لكنَّهُ لم يعرفِ النبيَّ ﷺ من بينَ أصحابِه. وقفَ مُربكاً
ثمَّ أدركَ النبيَّ ببشاشةٍ وجهِه.

قالَ الشيخُ العجوزُ: "يا نبيَّ الله، أنا جائعُ الكبدِ فأطعمني، وعاري
الجسدِ فاكسني، وفقيرٌ فاكفني".

لم يجدِ النبيُّ ﷺ شيئاً فينفقُهُ، لكنَّهُ أمرَ بلالَ أنْ يصحبَهُ إلى ابنتِه
فاطمةَ.

لقد كانت فاطمةُ رحمةً للفقراءِ والمساكينِ.





منذ سنواتٍ خلتُ، وقبلَ أن تولدَ فاطمة، كانتِ السيدةُ خديجة تعاني من أذى نساءِ مكة.

ورثتِ السيدةُ فاطمةَ البذلَ والسخاءَ عن أبيها وأمها، فقد كانت أمها سيدةً عظيمةً بذلتُ كلَّ ما تملكُ في سبيلِ الإسلام. وكانت من أشرافِ نساءِ مكّة، إلا أنّهن أعرضنَ عنها عندما تزوّجتُ محمّداً. فأخذنَ يُعابِرُنَّها أنّها تزوّجتِ يتيماً لا يملكُ شيئاً. ولكنّ كلامهنّ وأذاهن لم يزدنّها إلا حُبّاً وقرباً وإخلاصاً لرسولِ الله الأعظم ﷺ.

كانتِ السيدةُ خديجةُ تواسي نفسها بفاطمة مُدّ كانت جنيناً؛ مرّةً دخلَ عليها رسولُ الله ﷺ فسمِعَها تتحدّث، فتفاجأ إذ لطالما كانت تقضي الأوقاتَ وحدها، وحينما سألتها أخبرته أنّ الجنينَ الذي في بطنها يحدّثها ويواسيها.

لقد كانت فاطمةٌ محدثةٌ ومؤنسةٌ لوالديها.



تُوِّفِيَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ فَتَاةً صَغِيرَةً تَبْلُغُ خَمْسَ سِنَوَاتٍ، فَالْتَصَقَتْ بِأَبِيهَا الَّذِي كَانَ يَعْوِضُهَا بِحَنَانِهِ وَعَطْفِهِ فَقَدَّ أُمُّهَا. رَغِمَ مَا كَانَ يَعْانِيهِ مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ. فَكَانَ إِذَا حَضَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ لِيُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ عَاجَلَهُ الْمَشْرُكُونَ فِي سَجُودِهِ، فَوَضَعُوا سَلَّةَ الْبَعِيرِ عَلَى ظَهْرِهِ، لِكَيْ لَا يَتِمَكَّنَ مِنَ الْقِيَامِ، ثُمَّ أَخَذُوا يَضْحَكُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ. ثُمَّ يَأْمُرُونَ صَبِيَانَهُمْ أَنْ يَرشُقُوا النَّبِيَّ ﷺ بِالْحِجَارَةِ. وَلَكِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَصْبِرُ وَيَدْعُو لَهُمْ. وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْتَقْبِلُ وَالِدَهَا، فَتَزِيلُ غِشَاءَ الْهَمِّ وَالْأَذَى عَنِ وَجْهِهِ رَغِمَ صِغَرِ سَنِّهَا. ثُمَّ أَخَذَتْ تَتَّبِعُ وَالِدَهَا إِذَا حَضَرَ الْكَعْبَةَ، فَتَسَارِعُ لِرَفْعِ الْأَذَى عَنْهُ، وَتَنْبِرِي لِتَأْنِيْبِ أَرْبَابِ قُرَيْشٍ وَذَمِّهِمْ عَلَى أَفْعَالِهِمْ. لَقَدْ كَانَتْ فَاطِمَةُ تَحْرِصُ أَنْ تَوْفَّرَ كُلُّ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ لِوَالِدِهَا فَتَوَاسِيَهُ وَتَزِيلُ هَمَّهُ فَكَانَتْ رَغِمَ صِغَرِهَا كَمَا وَصَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ "أُمُّ أَبِيهَا".

لَقَدْ كَانَتْ فَاطِمَةُ رَحْمَةً لِوَالِدِهَا النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ






قَبْلَ أَنْ تَحْمَلَ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ بِجَنِينِهَا، كَانَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَدْ
أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَعْتَرِلَ فِي الْغَارِ، فَقَضَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَصُومُ نَهَارَهُ
وَيَقُومُ لَيْلَهُ. وَفِي الْيَوْمِ الْأَرْبَعِينَ هَبَطَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ مِيكَائِيلُ وَمَعَهُ
طَبَقٌ مَغْطَى بِمَنْدِيلٍ سُنْدَسٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ جِبْرَائِيلُ ﷺ أَنْ يَفْطَرَ
عَلَى الطَّعَامِ وَيَقُومَ قَبْلَ الصَّلَاةِ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ وَيَبَشِّرَهَا أَنَّ
اللَّهَ سَيَرْزُقُهَا ابْنَةً تُشْرِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ نُورِهَا.

**لقد كانت فاطمةُ رحمةً لأبويها وأهلِ السمواتِ
والأرضين.**





بعدها هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، تقدّم الأعيان لخطبة فاطمة التي كانت تبلغُ تسعَ سنوات، ولكن النبي ﷺ كان يردُّهم بلطفٍ فيعلمهم أنه ينتظرُ أمرَ الله فيها، إلى أن تقدّم عليٌّ لخطبتها وبعد أن سألتها فأقرت، أخبر رسولُ الله ﷺ المسلمين أن عرسَ عليٍّ وفاطمة أُقيمَ في السماء قبل أن يُقامَ في الأرض. ثم زُفَّت إلى بيتها الزوجي البسيط في أثاثه، العابقِ بالحبِّ والإيمانِ والمودَّة، وكانت ترتدي ثوبها نفسه، بعد أن أهدت ثوبها الجديد إلى مسكينةٍ طرقتُ بابها ليلة زفافها.

لقد كانت فاطمةً رحمةً لزوجها وللمساكين جميعاً.





كانت السيدة فاطمة تهتمُّ بزوجها وأولادها، فتوفّر لهم أسبابَ راحتهم، ولكنّها لم تغفل عن والدها أبداً، فتداوم على زيارته وتحمل إليه الطعام وكان النبي يداوم زيارتها، فهي آخر من يودّعه إذا خرج للحرب وأول من يستقبله. وكانت تعين النبي في تعليم الأحكام لنساء المدينة وحلّ مشاكلهن.

ولقد كان النبي يظهر دائماً مودّته للسيدة فاطمة وأولادها ويخبر المسلمين أنّ الله أمره بحبهم وأنّ من أحبهم فقد أحب الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله.

لقد كانت فاطمة بضعة الرسول وروح التي بين جنبيه.



بعد مرضِ رسولِ الله الأعظم ﷺ ورحيله، عظمتِ المصيبةُ على السيدةِ فاطمة ؑ، فلم تُر ضاحكةً قط، فكانت تبكي على فراقِ الرسول، وعلى الضياعِ الذي حدثَ في المدينة، وإعراضِ النَّاسِ عن الإسلام.

ورغمَ أنَّ النبيَّ قد جعلَ السيدةَ فاطمةَ باباً للرحمةِ وأخبرَ المسلمينَ أنَّ مَنْ أذى فاطمةَ وأغضبَها فقد أغضبَ الله، إلا أنَّ بعضهم أعرَضَ عنها، وأخذَ بعضهم يؤذيها، حتى ثقلتَ عليها المصائبُ، واستشهدت ورحلت عن الدُّنيا ساخطة، وأمَّرت أن تدفَنَ سرّاً.

لقد كانت فاطمةُ رحمةً لله العظمى وكلمته التامة .



ولكنَّ النَّاسَ لَمْ يقدُرُوا هذهِ الرَّحمةَ؛ فعاشوا بعدها في ذلٍّ وعذاب.

وسيرفَعُ العذابُ في يومٍ ما حينَ تجتمعُ قلوبُ النَّاسِ، وبيتهلون معاً على عودةِ حفيدِّها الغائبِ فتزهر الأرضُ بنورِ فاطمة.